ختم السور بالاستفهام
(موضوعاته، أغراضه، مناسباته، دلالاته)

د٠ عبد العزيز بن صالح الخزيم (*)

ملخص البحث:

ختم الله خمس سور مكية بالاستفهام، وهي سور الأحقاف، والقيامة، والمرسلات، والمطففين، والتين. يدرس هذا البحث الختم بالاستفهام في كل سورة من هذه السور من حيث موضوعه، وغرضه، ومناسباته، ودلالاته.

وقد كان موضوع الاستفهام في سورة الأحقاف هلاك الكافرين المكذبين بالنبي ﷺ، وفي سورة القيامة إثبات قدرة الله التامة على البعث وإحياء الموتى، وموضوعه في سورة المرسلات تكذيب المشركين القرآن الكريم، وفي سورة المطففين مجازاة الكفار يوم القيامة على أفعالهم، وفي سورة التين بيان عدل الله تعالى وأنه أحكم الحاكمين.

كما جاء الاستفهام في سورة الأحقاف إنكاريا، وفي سورة القيامة إنكار للمنفيّ إنكارَ تقريرٍ بالإثبات، وفي سورة المرسلات إنكاري سيق للتعجب ، والاستفهام للتقرير في سورتي المطففين والتين.

ومن أبرز مناسبات الختم بالاستفهام أنها تحقيق لما ذكر في السور وتقرير لمضمونها.

(*) كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – قسم القرآن وعلومه – جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: Dr.a.khziem@gmail.com

ومن أبرز دلالته إثبات عدل الله تعالى، وإقامة الحجة على الكافرين المكذبين، والجزاء على الأعمال.

الكلمات المفتاحية: ختم، خواتم، السور، الاستفهام، موضوعات، أغراض، مناسبات، دلالات

Search Summary

Allah sealed five Makiyah fence by questioning, namely the fence of the gods, resurrection, correspondents, extinguishers and figs. This research examines the seal by questioning each of these fences in terms of its object, purpose, events, and connotations.

The subject of questioning in the Holy Koran was the death of the unbelievers who lied to the Prophet. In the Holy Koran, the Holy Koran proves God's total ability to Ba 'ath and revive the dead. In the Holy Koran, the Holy Koran refers to the Holy Koran.

The query also came in the Holy Koran of Ahqaf, and in the Holy Koran, the denial of the exile denied a report by proof, and in the Holy Koran of the missionaries Inkari Saiq to marvel, and the question of the report in the Surti of mutants and figs.

One of the most important occasions of the conclusion of the question was the realization of what had been stated in the wall and the report of its content.

One of his most important signs is the proof of God's justice, the establishment of an argument against the lying disbelievers, and the rejection of actions.

Keywords: seal, rings, fence, question, themes, purposes, occasions, connotations

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين نبينا محمد، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فإن الله أنزل كتابه المبارك بلسان عربي مبين، وجعله أجل الكتب وأعظمها قدرا، وأغزرها علما وأعذبها نظما، ومازال المسلمون ينهلون من معين هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، وهو أولى ما تنافس فيه المتنافسون، واشتغل به المشتغلون، ولا عجب أن تسابق العلماء والباحثون قديما وحديثا في استخراج مكنونات هذا الكتاب الكريم.

وقد ظهر لي أن مما يستحق أن يخص بالدراسة والبحث ما ختم الله به سور القرآن بأسلوب الاستفهام، فرأيت أن يكون هذا البحث بعنوان **[ختم السور بالاستفهام موضوعاته، أغراضه، مناسباته، دلالاته]**.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث في كون خواتم السور وثيقة الصلة بموضوعات السور وفواتحها، وهي آخر ما يبقى في الأسماع، مما يستدعي مزيد النظر فيها ودراستها واستخراج ما يتعلق بها من موضوعات، وأغراض، ومناسبات، ودلالات.

مشكلة البحث: هذا البحث هو إجابة لسؤال محدد ألا وهو: ما موضوعات ختم السور بالاستفهام؟ وما أغراضها؟ وما مناسباتها؟ وما دلالاتها؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى بيان موضوعات ختم السور بالاستفهام، وأغراضها، ومناسباتها، ودلالاتها.

حدود البحث: يقتصر البحث على دراسة الختم بالاستفهام في خمس سور هي الأحقاف، والقيامة، والمرسلات، والمطففين، والتين.

الدراسات السابقة: تعددت الدراسات والبحوث في المناسبات وخواتم السور غير أني لم أقف – بعد البحث في أوعية المعلومات وقواعدها وفهارس المكتبات – على بحث يختص بختم السور بالاستفهام، وهو ما يعنى به هذا البحث.

منهج البحث وإجراءاته: يقوم البحث على المنهج الاستقرائي لخواتم السور، ثم استخراج ختم السور بالاستفهام، مع إعمال المنهج التحليلي لبيان المناسبات، والمنهج الاستنباطي لاستخراج الموضوعات، والأغراض، والدلالات. وفق الإجراءات التالية:

١. التعريف بالسور الخمس من حيث النزول والموضوعات.
٢. التفسير الإجمالي للاستفهام وما يتعلق به من الآيات.
٣. بيان موضوع الاستفهام وغرضه.
٤. استخراج المناسبات والدلات الظاهرة مع نقل أقوال المفسرين في ذلك.
٥. اتباع الإجراءات العامة المعمول بها في البحث العلمي في العزو، والتخريج، والتعريف بالغريب، وغير المشهورين من الأعلام...

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة:

* **المقدمة:** فيها أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، وإجراءاته.
* **التمهيد:** فيه:

أولا: تعريف بالاستفهام.

ثانيا: خواتم السور أهميتها وأنواعها.

* **المبحث الأول:** ختم سورة الأحقاف بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ختم سورة الأحقاف بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته.

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة الأحقاف بالاستفهام.

* **المبحث الثاني:** ختم سورة القيامة بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ختم سورة القيامة بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته.

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة القيامة بالاستفهام.

* **المبحث الثالث:** ختم سورة المرسلات بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ختم سورة المرسلات بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته.

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة المرسلات بالاستفهام.

* **المبحث الرابع:** ختم سورة المطففين بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ختم سورة المطففين بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته.

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة المطففين بالاستفهام.

* **المبحث الخامس:** ختم سورة التين بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ختم سورة التين بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته.

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة التين بالاستفهام.

الخاتمة: فيها أبرز النتائج والتوصيات.

أسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق، وأن ينفع بهذا البحث كاتبه وقارئه، وأن يغفر خطئي وزللي.

والحمد لله رب العالمين،،

تمهيد

أولا: تعريف بالاستفهام:

يقال: (استفهمه) سَأَلَهُ أَن يفهمهُ، وَيُقَال استفهم من فلَان عَن الْأَمر طلب مِنْهُ أَن يكْشف عَنه، وقد اسْتَفْهَمَني الشيء فأفهمته[1]. (واستفهمني) الشيء: طلب مني فهمه (فأفهمته) إياه[2].

والاستفهام استخبارٌ، والاستخبار هوُ طَلبٌ من المُخاطَب أن يُخْبرك[3].

وحقيقته طلب الإفهام[4].

وقيل: الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما حكاه ابن فارس في فقه اللغة[5].

وأدواته: الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان[6].

وقال بعض الأئمة: ما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل[7].

وقد ذكر الزركشي أن الاستفهام قد يخرج عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام، وأنه قسمان: بمعنى الخبر وبمعنى الإنشاء.

---

(١) الصحاح (٢٠٠٥/٥)، لسان العرب (٤٥٩/١٢)

(٢) تاج العروس (٢٢٤/٣٣)

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (١٥٩)

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١٦٧/٢)

(٥) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة (١٣٤)، البرهان في علوم القرآن (٣٢٦/٢)

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣٤٧/٢)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د. أحمد مطلوب (١٨٣،١٨٢/١)

(٧) الإتقان (٢٦٧/٣)

فالاستفهام بمعنى الخبر ضربان: أحدهما: نفي، والثاني: إثبات. فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار لأنه يطلب به إنكار المخاطب كقوله تعالى: ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ:١٧] .

وبالثاني إقراره به ويسمى استفهام تقرير كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الفيل:٢].

ويأتي على وجوه منها: مجرد الإثبات، والإثبات مع الافتخار، ومع التوبيخ، ومع العتاب، ومع التسوية، ومع التعظيم، وغيرها.

والاستفهام المراد به الإنشاء على ضروب: مجرد الطلب وهو الأمر كقوله تعالى: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

أي: أحبوا . ويأتي للنهي، والتحذير، والتذكير، والتنبيه، والترغيب، والتمني، وغيرها(١).

ثانيا: خواتم السور أهميتها وأنواعها:

خواتم السور هي آخر ما يقرع الأسماع، وفيها معان بديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد، وهي مثل الفواتح في الحسن، وهي بين أدعية ووصايا وفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل ووعد ووعيد إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب(٢).

وتميزت خواتم السور كما تميزت فواتح السور بدلالات ومعاني وإشارات محققة أهدافها في مخاطبة البشر، مبينة لهم حكما، ومواعظ، داعية لهم بالهداية والاستقامة، مبشرة ومنذرة(٣).

---

(١) ينظر في تفصيل الوجوه وأمثلتها: البرهان (٢/٣٢٨-٣٤٤).

(٢) ينظر: البرهان (١/١٨٢).

(٣) المدخل إلى علوم القرآن الكريم لمحمد فاروق النبهان (١٢٥).

وكما أن السلاطين يختمون رسائلهم بجوامع الكلم ونوادر الوصايا على التمسك بالأوامر المذكورة، والتهديد لكل من يخالفها يخرج عنها، كذلك الله – تبارك وتعالى – ختم أواخر السور بجوامع الكلم ومنابع الحكم، والتأكيد البليغ والتهديد العظيم[١].

وتتنوع خواتم السور إلى أنواع تسعة وهي كالتالي[٢]:

١. الختم بالثناء على الله تعالى.
٢. الختم بوصف القرآن.
٣. الختم بوصف النبي ﷺ وتسليته.
٤. الختم بوصف المؤمنين.
٥. الختم بمجادلة المعاندين.
٦. الختم بالدعاء.
٧. الختم بالوصية والحث على الطاعة.
٨. الختم بالوعد والوعيد.
٩. الختم بالاستفهام.

وقد وقع الختم بالاستفهام في خمس سور هي: سورة الأحقاف، وسورة القيامة، وسورة المرسلات، وسورة المطففين، وسورة التين[٣].

---

(١) الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي (١٤٣).

(٢) ينظر: فواتح السور وخواتيمها أنواعها دلالاتها مناسباتها د. عبد العزيز الخضيري (١/هـ).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١١٨/١).

المبحث الأول

ختم سورة الأحقاف بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته

المطلب الأول: ختم سورة الأحقاف بالاستفهام، موضوعه، غرضة، مناسبته:

سورة الأحقاف من السور المكية[١]، وقد انبنت على ذكر مآل من كذب وكفر، وافتتحت السورة بإعراضهم، وختمت بما قد تكرر من تقريعهم وتوبيخهم ثم بذكر هلاكهم[٢].

وفيها إلزام الحجّة على عبدة الأَصنام، والإخبار عن تناقض كلام المتكبّرين، وبيان نبوّة سيّد المرسلين ﷺ [٣].

ومقصودها: إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة. اللازم للعزة والحكمة الكاشف لها أتم كشف، بما وقع الصدق في الوعد به من إهلاك المكذبين، وأنه لا يمنع من ذلك مانع، لأنه لا شريك له، فهو المستحق للإفراد بالعبادة [٤].

والغرض من هذه السورة إنذار المشركين بالعذاب، وأخذهم مع هذا الدليل الى التصديق بالتوحيد والرسالة، وبهذا جمع فيها بين الأخذ بالترهيب والترغيب والأخذ بالدليل[٥].

---

(١) ينظر: زاد المسير (١٠٢/٤)، المكي والمدني د محمد الشايع (٧١).

(٢) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي (٣٠٧،٣٠٦).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٤٢٧/١).

(٤) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي(٤٨١،٤٨٠/٢).

(٥) الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين (١٥١/٨).

وخلاصة مقصودها وغرضها إقامة الحجة على المكذبين وإنذارهم بالعذاب ولذا تكرر فيها لفظ الإنذار(١).

وقد جاء الاستفهام في آخرها في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فبعد أن أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعيا لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم- وهم على المشهور نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام – فهم أحق الخلق بالأسوة بهم واقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم.

فامتثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبرا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعا بصده عن الدعوة إلى الله وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صادعا بأمر الله مقيما على جهاد أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى، حتى مكَّن الله له في الأرض وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليما.

ونهاه تعالى أن يستعجل لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب، فإن هذا من جهلهم وحمقهم ولا يحملك ما ترى من استعجالهم على أن تدعو الله عليهم بذلك فإن كل ما هو آت قريب، فحين يقع العذاب ويرونه كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، هذا القرآن العظيم الذي بينا لكم فيه البيان التام بلاغ لكم، وكفاية للإنس والجن(٢).

---

(١) المختصر في التفسير (٥٠٢).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (٧٨٣)، التفسير الميسر (٥٠٦)، المختصر في التفسير (٥٠٦).

وقوله تعالى:﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

هذا الاستفهام ختمت به السورة[١]، وتأويله أنه لا يهلك بعد هذا البلاغ مع رحمة الله وتَفَضله إلا القومُ الفَاسِقُونَ. فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به، ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين[٢].

وموضوع الاستفهام هلاك الكافرين المكذبين بالنبي ﷺ[٣].

والاستفهام إنكاري[٤]، فلا يراد بالاستفهام حقيقته وإنما هو مستعمل في النفي فلذلك صح الاستثناء منه[٥]، وجملة الاستفهام استئنافية[٦].

ومن مناسبات هذا الاستفهام لما قبله أنه لما أقام سبحانه الأدلة في الحواميم حتى صارت كالشمس، لا يزيغ عنها إلا هالك، ختم بأنه يُهلك بعد هذه الأدلة القوم الفاسقون[٧].

ومن المناسبات أنه تعالى لما أنذرهم في هذه السورة وخوفهم من تكذيب رسوله – عليه الصلاة والسلام – ختم ببيان أن الهلاك هو عقوبة تكذبيهم.

ومن المناسبات أنه لما تقدم في السورة ما قصة الله عليهم من هلاك قوم عاد توعدهم بأنهم سيلقون مصيرهم، وسيحل بهم الهلاك لعنادهم وكفرهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٤٨/٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧٨/٢١).

(٣) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن (٣٠٧).

(٤) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١١٤/٢٧).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٥٧١/١)، التحرير والتنوير (٦٩/٢٦).

(٦) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١١٩٦/٣).

(٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩٥/١٨).

ومن المناسبات أيضا أنه لما قدم ببيان إعراضهم في قوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣]. ختم السورة بذكر عقوبة إعراضهم.

المطلب الثاني: دلالات[١] ختم سورة الأحقاف بالاستفهام:

أولا: فيه دليل على عدل الله تعالى حيث لا يعذب إلا من كان أهلا لعذابه، وأن الجزاء من جنس العمل، قال ابن كثير:" هذا من عدله تعالى أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب "[٢]. وقد جاء التصريح بهذا المعنى في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٧٠]. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]. ومقتضى العدل الإلهي كما أهلك العصاة المكذبين أن ينجي ويثيب المؤمنين الطائعين. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

---

(١) الدلالات: جمع دلالة : وهي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول، وهذا هو أصح التعريفات التي قيلت؛ لأنه يدل على أن هناك تلازما بين الدال والمدلول، بحيث إذا فهم الدال فهم المدلول . ينظر: التعريفات للجرجاني (١٠٤)، المهذب في أصول الفقه د عبد الكريم النملة (١٠٥٥/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٠٥/٧).

ثانيا: فيه تطميع في سعة فضل الله ﷻ[١]. حتى إنه يُقال إن قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾. أرجى آية في القرآن[٢]؛ وذلك أن الله ﷻ جعل الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٠]. وغفر الغفور الرحيم الصغائر باجتناب الكبائر فقال سبحانه: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١]. ووعد الغفران على التوبة فقال سبحانه: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة: ٣٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٤]. فلن يهلك على الله إلا هالك[٣].

ثالثا: يدل بناء الفعل﴿ يُهْلَكُ ﴾ أن المحذور الهلاك وإن لم يعين المهلك، وأن إهلاكهم عليه ﷻ يسير جداً[٤].

---

(١) تفسير المراغي (٤٢/٢٦).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (١٦٦/٥)، تفسير البغوي (٢٧٣/٧)، تفسير القرطبي (٢٢٢/١٦)، وممن نص على ذلك الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤٤٨/٤) حيث قال:" وما في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية ".

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٢٢٤،٢٢٣/٧).

(٤) ينظر: نظم الدرر (١٩٣/١٨).

رابعا: يدل بناء الفعل﴿ يُهْلَكُ ﴾ على أن الإهلاك واقع بكل من خرج عن طاعة الله وكفر بنبينا محمد ﷺ، وشواهد ذلك من الإهلاك الدنيوي كثير بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

خامسا: قال ابن عاشور:" والتعبير بالمضارع في قوله: فهل يهلك على هذا الوجه لتغليب إهلاك المشركين الذي لما يقع على إهلاك الأمم الذين قبلهم "[1].

سادسا: فيه دليل على إثبات النبوة؛ وذلك أن الإهلاك لا يكون إلا بعد إقامة الحجة بإرسال الرسل. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [القصص: ٥٩]. كي لا يقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ ﴾ [طه: ١٣٤]. وتحقيقا لوعده الذي لا يتخلف: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥][2].

سابعا: فيه دليل على قدرة الله تعالى؛ فما توعدهم بالإهلاك إلا وهو قادر على ذلك متى شاء وكيف شاء، لا يعجزه شيء سبحانه وبحمده.

ثامنا: في وعيد الفاسقين بالإهلاك تسلية للنبي ﷺ وأتباعه المؤمنين، وتثبيت لهم على الحق[3].

تاسعا: أن الكفر بالله والشرك من أسباب الإهلاك؛ وذلك أن المقصود بالفسق الكفر والشرك بالله، قال الطبري في معناه:" فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به "[4]. وقال ابن عاشور:" ولك أن تجعل التعريف – يعني في قوله:﴿ الْقَوْمُ ﴾ – تعريف العهد، أي القوم المتحدث

(١) التحرير والتنوير (٦٩/٢٦).
(٢) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (٢١١/٦).
(٣) ينظر: التفسير الحديث (٣٠/٥).
(٤) تفسير الطبري (١٧٨/٢١).

عنهم في قوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ الآية [الأحقاف: ٣٥]، فيكون إظهارا في مقام الإضمار للإيماء إلى سبب إهلاكهم أنه الإشراك "[١].

عاشرا: في ذكر الفسق وعاقبته زجر عنه، ووعيد للخارجين عن طاعة الله.

حادي عشر: قال ابن عاشور:" وأفاد الاستثناء أن غيرهم لا يهلكون هذا الهلاك، أو هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات "[٢].

(١) التحرير والتنوير (٦٩/٢٦).

(٢) المرجع السابق (٦٩/٢٦).

المبحث الثاني

ختم سورة القيامة بالاستفهام،

موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته

المطلب الأول: ختم سورة القيامة بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته:

سورة القيامة مكية، ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من المفسرين[١].

وفيها بيان هَوْل القيامة، وبيان إثبات البعث، وتأْثير القيامة في أَعيان العالم، وبيان جزاء الأَعمال، وآداب سماع الوَحْى، واختلاف أحوال أهل السعادة وأهل الشقاء وتكريم أهل السعادة. والتذكير بالموت وأنه أول مراحل الآخرة. والزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعد لأهل الخير من نعيم الآخرة والوعد باللِّقاءِ ورؤية الله، والخبر عن حال السَّكرة وخروج الروح من البدن، ثم ما قبل من مبدأ الخلق على عكس الترتيب الواقعي [٢].

وأسلوب آياتها يمكن أن يعتبر عرضا عاما، وإنذارا وتبشيرا، وتنديدا عاما أيضا[٣].

ومن أهم مقاصد سورة القيامة وصف يوم القيامة والحديث عن أهواله، وعن أحوالِ النَّاسِ فيه[٤]. وإظهار قدرة الله تعالى على بعث الخلق وجمعهم يوم القيامة[٥].

---

(١) ممن نقل الإجماع على ذلك: ابن عطيَّة، وابن الجوزي، والبِقاعي، وابن عاشور. يُنظر: المحرر الوجيز (٤٠١/٥)، زاد المسير (٣٦٨/٤)، مصاعد النظر (١٣٨/٣)، التحرير والتنوير (٣٣٦/٢٩).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٤٩٠/١)، روح المعاني (١٥٠/١٥)، التحرير والتنوير (٣٣٧/٢٩).

(٣) التفسير الحديث (١٨٨/٢) .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٣٧/٢٩)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٩٥/١٥).

(٥) المختصر في تفسير القرآن الكريم (٧٢٧).

والاستفهام الذي ختمت به السورة هو قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٤٠].

وقد جاء هذا الاستفهام نتيجة لما تقدمه في قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٣٩]. لأن خلق جسم الإنسان من عدم أحق بالاستبعاد من إعادة الحياة إلى الجسم بعد الموت، فهو إلى بث الحياة فيه وإعادة ما فني من أجزائه أقرب من إيجاد الجسم من عدم(١).

وقد أقام الله تعالى في هذه الآيات دليلين على صحة البعث(٢):

الأول: قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ والمعنى: أيظن الإنسان أن يترك في الدنيا مهملا، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يكلف، ولا يحاسب ولا يعاقب بعمله في الآخرة؟ فإن هذا خلاف مقتضى العدل والحكمة، وحسبان باطل وظن بالله بغير ما يليق بحكمته. فلا بد من الجزاء حتى لا يتساوى المؤمن والكافر، والطائع والعاصي.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ ﴾ والمعنى: أما كان ذلك الإنسان نطفة ضعيفة من مني يراق في الرحم، ثم صار بعد ذلك علقة، أي قطعة دم، ثم شكّل ونفخ فيه الروح، حتى صيره إنسانا سويا، له أولاد ذكور وإناث، بقادر على أن يحيي الموتى من مماتهم، فيوجدهم كما كانوا من قبل مماتهم. معلوم أن

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢٦٨/٥)، التحرير والتنوير (٣٦٨/٢٩).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٤٣٧/٧)، التفسير المنير (٢٧٦،٢٧٥/٢٩).

الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة من مني يمنى، حتى صيره بشرا سويا، لا يعجزه إحياء ميت من بعد مماته؛ بلى إنه على كل شيء قدير[1].

وموضوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ۝ ﴾ يتبين من خلال معنى الآيات السابق ألا وهو: إثبات قدرة الله التامة على البعث وإحياء الموتى[2].

والاستفهام إنكار للمنفيّ إنكارَ تقريرٍ بالإثبات. وهذا غالِبُ استعمال الاستفهام التقريري؛ أنْ يقَعَ على نفْي ما يُراد إثباتُه؛ لِيكون ذلك كالتوسعة على المقرَّر إنْ أراد إنكارًا؛ كِنايةً عن ثقة المتكلِّم بأنَّ المخاطَبَ لا يستطيع الإنكار[3]. وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق[4].

وفي مناسبة الاستفهام لما قبله يقول البقاعي:" ولما تقرر من حيث إتقان الاصطناع أنه لا يجوز معه الإهمال وانقطاع النزاع، وكان ربما توقف من حيث ظن عدم القدرة على ذلك بعد الموت، قال منبهاً على تمام القدرة مقرراً عليه منكراً على من يتوقف فيه موبخاً له مرتباً على ما قام على القدرة على الإعادة من دليل القدرة الشهودي على البداية: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ ﴾ أي الخالق المسوي الإله الأعظم الذي قدر على هذه الإنشاءات وصنع هذه الصنائع المتقنة التي لا يقدر غيره على شيء منها، وأعرق في النفي فقال: ﴿ بِقَادِرٍ ﴾ أي عظيم القدرة ﴿ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ ﴾ أي كيف أراد دفعة أو في أوقات متعاقبة ﴿ الْمَوْتَى ﴾ فيقيم القيامة بل

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥٢٨،٥٢٧/٢٣)، تفسير السعدي (٩٠٠)، التفسير المنير (٢٧٨-٢٧٥/٢٩).

(٢) ينظر: عون الرحمن في تفسير القرآن (٣١٧/٢٣).

(٣) التحرير والتنوير (٣٦٨/٢٩)، وينظر: تفسير السمرقندي (٥٢٤/٣)، البرهان (٣٣٣/٢)، إعراب القرآن وبيانه (٣٠٧/١٠)، التفسير البياني للقرآن الكريم (٤٧/٢).

(٤) ينظر: معترك الأقران (٥٨/٢).

وعزته وجلاله وعظمته وكماله إنه على كل ما يريد قدير، وقد رجع آخر السورة على أولها أتم رجوع، والتأم به أتم التئام، فتمت "[١].

ومن المناسبات أن من لطف الله تعالى رعاية الإنسان منذ أن كان نطفة في بطن الأم حتى صار علقة، فمن عنايته تعالى ومن تمام رحمته أن جعل دار البقاء لتجزى كل نفس بما عملت[٢].

وجاءت افتتاحية السورة وخاتمتها في موضوع واحد ولذا يقول السيوطي:" القيامة بدئت بذكر الإعادة وإحياء الموتى، وختمت بذلك "[٣].

وقال ابن عاشور:" وقد جاء في هذا الختام بمحسن رد العجز على الصدر، فإن السورة افتتحت بإنكار أن يحسب المشركون استحالة البعث، وتسلسل الكلام في ذلك بأفانين من الإثبات والتهديد والتشريط والاستدلال، إلى أن أفضى إلى استنتاج أن الله قادر على أن يحيي الموتى، وهو المطلوب الذي قدم في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤ ﴾ [القيامة: ٣، ٤] "[٤].

ومن المناسبات بين خاتمة السورة وافتتاحيتها أنه لما قدَّم في مطلع السورة تقرير وتأكيد حقيقة اليوم المرتقب في قوله: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝٦ ﴾

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١١٨/٢١).

(٢) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي (٥٠١/٨، ٥٠٢).

(٣) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (٧٦).

(٤) التحرير والتنوير (٣٦٨/٢٩).

[القيامة: ١ – ٦]. ختم ببيان الحكمة في مجيء القيامة مع تقريرها بالأدلة الظاهرة[١].

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة القيامة بالاستفهام:

أولا: فيه دليل على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى؛ لأَن الذي خلق الإنسان من نطفة وسَوَّاه بشرًا سويًّا قادر على أَن يحيَى الموتى يوم القيامة بل الإعادة أَهون من البدءِ في قياس العقل كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ثانيا: إثبات اسم الله القدير؛ حيث جاء مقرونا بالقدرة على المعاد[٢].

ثالثا: فيه دليل على صفة الإحياء، وهي صفة فعلية قائمة بذات الرب، ومتعلقة بقدرته ومشيئته، اختص بها، وهي تعني إعادة الحياة إلى الميت، أو إيجادها ابتداءً فيه[٣].

رابعا: فيه دليل على الإيمان باليوم الآخر. وهو أحد أركان الإيمان الستة، وللإيمان باليوم الآخر ثمرات. قال السعدي:" منها: أن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله، ازداد إيمانه .

ومنها: أن العلم بذلك حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة

---

(١) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي (٨/٤٨٤).

(٢) ينظر: التفسير الكبير (١/١٣٠)، المستدرك على مجموع الفتاوى (١/٥٥).

(٣) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية د. آمال العمرو (١٤٤).

تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر؛ كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفظعة.

وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه.

ومنها: أنه يعرف بذلك فضل الله وعدله في المجازاة على الأعمال الصالحة والسيئة، الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله، وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته "[١].

خامسا: فيه دليل على التكليف بالأوامر والنواهي، ثم الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى حكمته تعالى. قال البيضاوي:" الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح، والتكليف لا يتحقق إلا بالمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة "[٢]. فإذا كان الأمر كذلك وقد أخبرنا الله أنه سيعيدنا فلا بد من الإعادة، ولا بد من الحساب، وإذا كان حساب فلا بد من تكليف في هذه الدار، والتكليف يقتضى إرسال رسول، وإنزال وحي، وقد كان ذلك فعلى الإنسان أن يبدأ البداية الصحيحة، فيؤمن بالقرآن وبالرسول، ويقوم بحق الله ﷻ فيصلي وينفق ويستعد للقائه[٣].

سادسا: فيه دليل على تفرد الله ﷻ بالإحياء والإماتة. قال السعدي:" من جملة تدابيره: الإحياء والإماتة، التي لا يشاركه فيها أحد، الذي جعل الموت جسرا ومعبرا يعبر منه إلى دار البقاء، التي من آمن بها صدق الرسول محمدا ﷺ قطعا[٤].

---

(١) تفسير السعدي (٣٧).

(٢) تفسير البيضاوي (٢٦٩/٥).

(٣) ينظر: الأساس في التفسير (٦٢٧٢،٦٢٧٣/١١).

(٤) تفسير السعدي (٣٠٥).

سابعا: في الآية إشارة إلى أن الله يحيى موتى أهل الدنيا بالإعراض عنها والإقبال على الآخرة والمولى، وأيضا يحيى موتى النفوس بسطوع أنوار القلوب عليها[1]. أي: القلوب والأرواح الميتة، بالعلم والمعرفة[2].

ثامنا: في الآية تذكير السامعين وخاصة المعاندين والمكذبين بالمصير المحتوم لكل حي، وإثارة الخوف في نفوسهم ودعوتهم إلى التفكير في العاقبة والمصير قبل أن يصلوا إلى النهاية من آجالهم وتكون الفرصة قد أفلتت منهم[3].

تاسعا: فيه دليل على صفة الإماتة. وهي صفة فعلية قائمة بذات الرب تعالى، متعلقة بقدرته ومشيئته، اختص بها، وتعني إخراج الروح من الجسد، وسلب الحياة منه[4].

عاشرا: في قوله:﴿ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٥٠﴾﴾ إثبات الأفعال الاختيارية لله ﷻ. قال ابن عثيمين:" وهذه المسألة أنكرها كثير من علماء الكلام؛ وعللوا ذلك بعلل عليلة؛ بل ميتة لا أصل لها؛ لأنهم قالوا: إن الحوادث لا تقوم إلا بحادث؛ وإن الحوادث إن كانت كمالاً كان فقدها نقصاً؛ وإن كانت نقصاً فكيف يتصف الله بها! إذاً هي ممتنعة؛ لأنها نقص على كل تقدير، وحينئذٍ يجب أن ننزه الله عنها، وأن تكون ممتنعة عليه، والجواب عن ذلك أن قولكم: «الحوادث لا تقوم إلا بحادث» مجرد دعوى، ونحن نعلم أن الحوادث تحدث منا، ولكنها ليست سابقة بسبقنا، ولا يعد ذلك فينا نقصاً؛ فالحوادث تحدث بعد مَن أحدثها، ولا مانع من ذلك، فمن الممكن أن يكون المتصف بها قديماً وهي حادثة. وأما قولكم: «إنها إن كانت كمالاً كان فقدها نقصاً؛ وإن كانت نقصاً فكيف يوصف بها ؟» فنقول: هي كمال حال

(١) روح البيان (٢٥٨/١٠).
(٢) البحر المديد (١٩٢/٧).
(٣) التفسير الحديث (٢٠٤/٢).
(٤) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية (١٥٦).

وجودها؛ فإذا اقتضت الحكمة وجودها كان وجودها هو الكمال؛ وإذا اقتضت الحكمة عدمها كان عدمها هو الكمال "[١].

حادي عشر: أن من كان مستجيبا للحق أو مذعنا لمنطق العقل ولم يغلبه الهوى أو يستبد به العناد، فإنه سيجيب بالإقرار بأن الله وحده هو الذي يحيي الموتى[٢].

وقد جاء في الحديث الذي رواه موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، وكان إذا قرأ: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾ ﴾، قال:" سبحانك، فبلى ". فسألوه عن ذلك، فقال: " سمعته من رسول الله ﷺ ". قال أبو داود: " قال أحمد: يعجبني في الفريضة أن يدعو بما في القرآن "[٣].

قال العيني:" وبه استحب بعض العلماء أن القارئ إذا ختم سورة القيامة يقول عُقيب قوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾ ﴾: سبحانك اللهم بلى "[٤].

ثاني عشر: فيه دليل على أن الإحياء والإماتة بيد الله ﷻ؛ فعلى المؤمن أن يعتمد على الله ﷻ، ولا يخاف، ولا يقدر أسباباً وهمية؛ فمثلاً من دعي إلى أيّ عمل صالح فقال: أخشى إن عملت هذا العمل أن أموت. يقال له: هذه الخشية لا ينبغي أن تبني عليها حكماً، بحيث تمنعك من أمر فيه مصلحتك، وخيرك[٥].

---

(١) تفسير الفاتحة والبقرة (٢٨٣/٣).

(٢) ينظر: التفسير القرآني (١٣٤٨،١٣٤٧/١٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الركوع والسجود، باب الدعاء في الصلاة ح (٨٨٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠/٤).

(٤) شرح سنن أبي داود (٩٨/٤).

(٥) ينظر: تفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين (٢٨٣/٣).

ثالث عشر: فيه دليل على القياس. قال ابن القيم:" أرشد الله تعالى عباده إليه في غير موضع من كتابه، فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان، وجعل النشأة الأولى أصلا والثانية فرعا عليها؛ وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات، وقاس الخلق الجديد الذي أنكره أعداؤه على خلق السموات والأرض، وجعله من قياس الأولى كما جعل قياس النشأة الثانية على الأولى من قياس الأولى "[1].

**

(١) إعلام الموقعين (١/١٠١).

المبحث الثالث

ختم سورة المرسلات بالاستفهام

موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته

المطلب الأول: ختم سورة المرسلات بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته:

سورة المرسلات مكية عند جمهور المفسرين(١). اشتملت على الاستدلال على وقوع البعث، فذكر فيها القسم على وقوعه ثم بيان مقدماته، والمنة على الخلائق بإيجادهم في الابتداء والاستدلال على إمكان إعادة الخلق بما سبق من خلق الإنسان وخلق الأرض، وإيراد بعض دلائل القدرة والوحدانية، ووعيد منكري البعث بعذاب الآخرة، ولومهم على بعض أعمالهم، والتعريض بعذاب لهم في الدنيا كما استؤصلت أمم مكذبة من قبل، ومقابلة ذلك بجزاء الكرامة للمؤمنين، والشكاية عن الكفار بإعراضهم عن القرآن، والسورة من مستهلها إلى خاتمتها تقدم الحجج والبراهين على أن يوم القيامة واقع لا محالة(٢).

والاستفهام الذي ختمت به السورة هو قوله تعالى:﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المرسلات: ٥٠].

والمعنى: أي إن لم يصدقوا بالقرآن الذي هو معجز في ذاته مشتمل على المعاني الشريفة والدلالة على صدق الرسول ﷺ، الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين، على نمط بديع مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة فبأي شي يصدقون؟ أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلا عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟ فليس بعد النور المبين إلا دياجى الظلمات،

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤١٦/٥)، زاد المسير (٣٨٢/٤)، التحرير والتنوير (٤١٨/٢٩)

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٤٩٥/١)، التحرير والتنوير (٣١٩/٢٩)، التفسير المنير (٣١١/٢٩)، موسوعة التفسير الموضوعي (٥٣٥/٨).

ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح والإفك المبين، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه(١).

فهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٦ – ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الجاثية: ٦].

فمن ترك الإيمان بما هو أحق شيء بأن يُؤْمَن به لا يؤمن بشيء أبدًا؛ إذ لو كانوا يؤمنون بشيء لآمنوا بهذا القرآن. فهو أسلوب عربي معروف، إذا كان الشيء أولى من غيره بالمسألة يُقال: فبأي شيء بعد هذا تفعل؟ إذا لمْ تفعله بأحق شيء فبأي شيء غيره تفعل؟! كما هو معروف في كلام العرب، ومن هذا المعنى قول الأعشى:

صَدَّتْ هُريرةُ عنَّا ما تُكلِّمُنا ... جَهْلاً بأُمِّ خُليدٍ حَبْلَ مَنْ تَصِلُ

يعني: إذا لم تصل حبالنا ونحن أكرم الناس وأحقها بوصل الحبال فمن تصل حبله بعدنا؟! وهذا أسلوب عربي معروف(٢).

وموضوع الاستفهام تكذيب المشركين القرآن الكريم.

والاستفهام إنكاري سيق للتعجب من حالهم(٣).

وقيل استفهام توبيخ ونفي(٤).

والأظهر – والله أعلم – أنه للتعجب ولا يكون للتوبيخ لما سبق في آيات السورة من التوبيخ.

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢٧٧/٥)، تفسير أبي السعود (٨٣/٩)، تفسير السعدي (٩٠٥).

(٢) العذب النمير (٣٧٣/٤).

(٣) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٥٢٧/٥)، تفسير المظهري (١٧٠/١٠)، التحرير والتنوير (٤٤٧/٢٩).

(٤) ينظر: أسلوب الاستفهام في القرآن غرضه وإعرابه (١٥٩).

ومناسبة الآية لما قبلها أنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها، وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار، وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فبأي حديث بعده يؤمنون(١).

وأيضا لما قرَّر الله ﷻ في هذه السورة الكريمة من الآيات، ولم يكن في سائر الكتب المنزلة مثل هذه البيانات الشافية، ختمها بهذه الخاتمة مُصدرة بالفاء مفيدة أنّ القرآن من بين الكتب المنزلة آيةٌ مبصرةٌ ومعجزةٌ باهرة، فحين لم يؤمنوا به فبأي كتابٍ بعده يؤمنون(٢).

وأيضا لما أعلم أن لهم الويل دائماً، ذكر أن سببه عدم الإيمان بالقرآن وأن من لم يؤمن بالقرآن لم يؤمن بشيء أبداً(٣).

ويمكن أن يقال في المناسبة أيضا إنه لما تكرَّر في السورة الوعيد للمكذبين ختم ببيان سببه وهو ما وقع تكذبيهم به ألا وهو القرآن الكريم.

ومن المناسبات أنه لما ذكر عدم امتثالهم للأمر بالركوع ذكر سببه وهو تكذبيهم بالقرآن.

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة المرسلات بالاستفهام:

أولا: فيه تسمية القرآن حديثا. قال القرطبي:" وسمي القرآن حديثا؛ لأن رسول الله ﷺ كان يحدث به أصحابه وقومه "(٤).

ثانيا: فيه دليل على صفة الكلام لله ﷻ. قال ابن تيمية:" السلف وأئمة السنة والحديث يقولون: إنه يتكلم بمشيئته وقدرته؛ وكلامه ليس بمخلوق، بل كلامه صفة

(١) التفسير الكبير (٣٠/٧٨١،٧٨٢)، وينظر: تفسير المراغي (٢٩/١٩٠).
(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (١٦/٢٣٩).
(٣) نظم الدرر (٢١/١٨٧).
(٤) تفسير القرطبي (١٥/٢٤٨،٢٤٩).

له قائمة بذاته... أهل السنة والحديث متفقون على أنه يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلما إذا شاء وكيف شاء. وقد سمى الله القرآن العزيز حديثا، وقال: ﴿ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء: ٨٧]. وقال: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]... ومن المشهور عن السلف: أن القرآن العزيز كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود"[١].

ثالثا: فيه أنه لا حديث يساوي القرآن. قال الشهاب الخفاجي:" قالوا إنه على أسلوب بعد ذلك تنبيها على أنه لا حديث يساويه في الفضل أو يدانيه فضلاً عن أن يفوقه، ويعلوه فلا حديث أحق بالإيمان منه "[٢].

رابعا: فيه دليل على أن حديث الله تعالى لا حديث أصدق منه، وأقوى في الدلالة[٣]. ولكنه العمى في أبصارهم، والران والطمس على قلوبهم، والجحد والحسد في نفوسهم، وصدق الله العظيم: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣][٤].

خامسا: فيه دليل على سفه عقول المشركين وأحلامهم، وهو أنهم يمتنعون عن التصديق بحديث الله تعالى؛ إذ لا حديث أصدق منه، ثم يصدقون الأحاديث الكاذبة والأباطيل المزخرفة كما هو معروف عنهم[٥].

---

(١) جامع الرسائل (٢/٤،٥).
(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٨/٢٩٩).
(٣) ينظر: تفسير الماتريدي (١٠/٣٨٨)، تفسير السمرقندي (٣/٥٣٥).
(٤) ينظر: التفسير الوسيط مجمع البحوث (١٠/١٧٤٠).
(٥) ينظر: تفسير الماتريدي (١٠/٣٨٨).

سادسا: فيه الاحتجاج على المشركين كيف يصدقون ما غاب عنهم من القصص والأخبار ويكذبون أخبار القرآن وهي أصدق الأخبار؟

قال الطبري: " وإنما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدقوا بهذه الأخبار التي أخبرهم بها في هذا القرآن مع صحة حججه على حقيقته لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شيء من الأخبار التي لم يشاهدوا المخبر عنه، ولم يعاينوه، وأنهم إن صدقوا بشيء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك في أخبار هذا القرآن، والله أعلم "(١).

سابعا: أن القرآن الكريم هو الكتاب المنزّل الأخير ولا كتاب بعده. قال الواحدي:" إن لم يصدقوا بهذا القرآن، فبأي كتاب يصدقون، ولا كتاب بعد القرآن؟ "(٢).

ثامنا: فيه دليل على أن نبينا محمدا ﷺ خاتم النبيين. قال الواحدي:" قال أهل المعاني: هذا دليل على أن محمدًا خاتم الرسل وأن الوحي ينقطع بعد القرآن "(٣).

تاسعا: فيه دليل على الإيمان بالقرآن، قال ابن أبي العز:" وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب (٤). وقال ابن عثيمين:" الإيمان بالقرآن هو الإيمان بأنه كلام الله منزل على محمد ﷺ بلسان عربي مبين؛ ونصدق بكل أخباره؛ ونلتزم بكل أحكامه "(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٦١٤/٢٣).

(٢) التفسير الوسيط (٤١٠/٤).

(٣) التفسير البسيط (٤٩٢/٩).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢٩١).

(٥) تفسير الفاتحة والبقرة(٤٤٥/٣).

عاشرا: القرآن مصدّق للكتب القديمة، موافق لها في أصول الدين، فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب، لأن ما في غيره موجود فيه، فلا يمكن الإيمان بغيره مع تكذيبه[١].

حادي عشر: فيه استبعاد إيمان المشركين بأي حديث بعد أن لم يؤمنوا بهذا القرآن[٢]؛ فإنه قد بلغ منتهى البيان قولا ودلالة بحيث لا مطمع أن يكون غيره أدل منه[٣].

ثاني عشر: فيه الرد على المعتزلة القائلين إن القرآن ليس بقديم. واستدل بعض المعتزلة على أنّ القرآن ليس بقديم بقوله تعالى:﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ ﴾؛ إذ الحديث ضدّ القديم؛ لأنّ الحدوث والقدم لا يجتمعان في شيء واحد، ورُدَّ بأن الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث، ولو سُلِّم فالعبارة لا تدل على أنّ القرآن محدث لاحتمال أن يكون المراد فبأيّ حديث بعد القديم يؤمنون؟ [٤]. أو إن الحدوث يرجع إلى التلاوة لا إلى المتلو، وهو كالذكر مع المذكور إذا ذكرنا أسماء الرب تعالى[٥].

ثالث عشر: فيه أن من لم يهتد بما جاءت به الأنبياء، فهو أبعد الناس عن الهدى[٦].

رابع عشر: فيه أن من أحسن الإلزام وأبينه أن تبين للسامع الحق ثم تقول له: أيش تقول خلاف هذا؟ وأين تذهب خلاف هذا؟! فالأمر منحصر في الحق

---

(١) مراح لبيد (٢/٥٩٤).
(٢) ينظر: أضواء البيان (٧/١٨٨).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٩٨).
(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٠/٥٥٥).
(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٥/٢٤٩).
(٦) النبوات (٢/٩٤٢)

والباطل، والهدى والضلال، فإذا عدلتم عن الهدى والحق، فأين العدل؟ وأين المذهب؟!(١).

خامس عشر: فيه أهمية دعوة الناس وتذكيرهم ووعظهم بالقرآن الكريم، وذلك بتلاوته عليهم، وتعليمهم تفسيره والوقوف مع دلالاته العظيمة ووعده ووعيده، وخطورة الانشغال بغيره وبخاصة الأحاديث المكذوبة، أو القصص والأخبار، أو الأذكار والأشعار المخترعة كما هو شائع في أهل البدع، وبعض الوعاظ ممن لا فقه في الدعوة عنده.

قال ابن القيم:" فكيف بكتاب لم ينزل من السماء كتاب أهدى منه؟ خضعت له الرقاب، وسجدت له عقول ذوي الألباب، وشهدت العقول والفطر بأن مثله ليس من كلام البشر، وأن فضله على كل كلام كفضل المتكلم به على الأنام، وأنه نور البصائر من عماها، وجلاء القلوب من صداها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها، فهو حياها الذي به حباها، ونورها الذي انقشعت به عنها ظلماؤها، وغذاؤها الذي به قوام قوتها، ودواؤها الذي به حفظ صحتها، وهو البرهان الذي زاد على برهان الشمس ضياء ونورا، فلو: ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء٨٨] "(٢).

**

(١) التبيان في أيمان القرآن (٢٠٠)

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١١٤٠/٣)

المبحث الرابع

ختم سورة المطففين بالاستفهام

موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته:

المطلب الأول: ختم سورة المطففين بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته:

اختلف في سورة المطففين فقيل: مكية. وقيل مدنية: وقيل: بعضها مكي وبعضها مدني[1].

قال ابن عاشور:" وقد حصل من اختلافهم أنها: إما آخر ما أنزل بمكة، وإما أول ما أنزل بالمدينة، والقول بأنها نزلت بين مكة والمدينة قول حسن "[2].

عنيت هذه السورة بأمور العقيدة، وعلى التخصيص أحوال يوم القيامة وأهوالها، وعنيت بأمور الأخلاق الاجتماعية، حيث وعيد المطففين بالعذاب الشديد؛ لأنهم يجورون ويظلمون سواهم بالاستيلاءِ على حقهم، واستلاب أَموالهم، ثم أبانت أن صحائف أعمال الفجار في أسفل السافلين في نار جهنم، وأَنهم لا ينعمون بفضل الله ورحمته ولا يسعدون برؤيته يوم القيامة، وأردفت على سبيل المقارنة والعبرة والجمع بين الترغيب والترهيب ببيان أن صحائف الأبرار في أعلى عليين، وأَبانت سعادتهم في الآخرة، وأَنهم في مرضاة ربهم وكرمه، وختُمت السورة بوصف موقف المجرمين من المؤمنين، حيث كانوا يستهزئون ويضحكون منهم في الدنيا لإيمانهم وتقواهم ربهم، ثم انعكاس هذا الموقف في الآخرة حيث صار المؤمنون هم الذين يضحكون منهم جزاءَ ما كان المجرمون يفعلونه بالمؤمنين في الدنيا من الإيذاءِ والسخرية جزاءً وفاقًا[3].

---

(١) ينظر: زاد المسير (٤/٤١٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/١٨٧).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٠/١٨٢٣)، التفسير المنير (٣٠/١١٠).

فالسورة تركز على بيان حال الناس في الموازين والمنازل الأخروية، تهديدًا للمطففين والمكذبين، وتأنيسًا للمؤمنين المستضعفين(١).

وقد ختمت السورة بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المطففين: ٣٦].

وهذا الاستفهام جاء بعد أن ذكر الله تعالى السخرية الواقعة على المؤمنين في الدنيا في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٥].

ومعنى الاستفهام: يقول تعالى ذكره هل أثيب الكفار المجرمون وجزوا ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين من سخريتهم منهم، وضحكهم بهم، بضحك المؤمنين منهم في الآخرة، والمؤمنون على الأرائك ينظرون، وهم في نار جهنم يعذبون؟ هل جوزوا من جنس عملهم؟ نعم، يعني: قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله. عدلا من الله وحكمة، والله عليم حكيم(٢).كأنه خطاب للمؤمنين، تعظيما لهم وتكريما وزيادة في مسرتهم، أي هل رأيتم كيف جازى الله الكافرين بأعمالهم، أي أنه فعل(٣).

وموضوع الاستفهام مجازاة الكفار يوم القيامة على أفعالهم.

والاستفهام للتقرير للمؤمنين، أي هل جوزوا بها؟ (٤).

---

(١) المختصر في التفسير (٥٨٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٢٩/٢٤)، تفسير ابن كثير (٣٥٤/٨)، تفسير السعدي (٩١٦).

(٣) محاسن التأويل (٤٣٦/٩).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط (٤٥٠/٤)، البحر المحيط (٤٣٢/١٠)، فتح القدير (٤٩٠/٥).

ومناسبته لما قبله أنه لما كانت الآيات المتقدمة قد نطقت بيوم القيامة، وأن الويل يومئذ للمكذبين ساغ أن يقول تعالى ما يكون فيه من الجزاء[١].

ومن مناسبته لما قبله أنه تعالى لما وصف كرامة الأبرار في الآخرة وذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا في استهزائهم وضحكهم، بين أن ذلك سينقلب على الكفار في الآخرة، والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم[٢].

ولما ذكر في السورة حال الفريقين الأبرار والفجار ختم السورة بما يجمع ما اشتملت عليه من الجزاء للكافرين الدال بمفهومة على جزاء المؤمنين.

قال ابن عاشور عن جملة الاستفهام:" وفي هذه الجملة مُحسّن براعة المقطع[٣]، لأنها جامع لما اشتملت عليه السورة "[٤].

وفي مناسبة الاستفهام مع الويل المذكور أول السورة يقول البقاعي:" وقد عُلم أن لهم الويل الذي افتتحت السورة بالتهديد به لمن يفعل فعل من لا يظن أنه يجازى على فعله، وآخرها فيمن انتقص الأعراض في خفاء، وأولها فيمن انتقص الأموال كذلك، وجفاء العدل والوفاء "[٥].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٤٥٤/٥).

(٢) التفسير الكبير (٩٤/٣١).

(٣) براعة المقطع: أن يكون آخر الكلام مُستعذبا حسنا؛ لتبقى لذَّتُه في الأسماع، مُؤذنًا بالانتهاءِ، بحيث لا يبقى للنفس تشَوُّفٌ إلى ما وراءه. ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (١٣٥/٧).

(٤) التحرير والتنوير (٢١٦/٣٠).

(٥) نظم الدرر (٣٣٤/٢١).

وأيضا أن السورة الكريمة افتتحت بالويل للمطففين الذين لم يوقنوا بيوم الدين وسخروا من المؤمنين فناسب في ختام السورة أن تكون آية: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[١].

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة المطففين بالاستفهام:

أولا: في التعبير بالماضي في الفعل ﴿ ثُوِّبَ ﴾ دليل على تحققه[٢].

ثانيا: فيه دليل على استعمال الثواب في الشر. قال الراغب:" والثواب يقال في الخير والشر، لكن الأكثر المتعارف في الخير "[٣].وقال الشنقيطي:" وقول من قال: إن الثواب في اللغة يختص بجزاء الخير بالخير غير صواب، بل يطلق الثواب أيضا على جزاء الشر بالشر، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ الله مَنْ لَعَنَهُ الله وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ الآية [المائدة: ٦٠] "[٤].

ثالثا: الآية الكريمة تزيد في سرور المؤمنين وتدل على كريم منزلتهم وعظيم مكانتهم[٥].

رابعا: فيه أن نفوس المؤمنين احتملت النظر إلى الكفار بما هم فيه من التعذيب، مع أن المرء إذا رأى أحدا في شدة العذاب لم يحتمل طبعه ذلك، ونغص عليه العيش؛ فجائِز أن يكون الله – تعالى – أنشأهم على خلقة لا تقبل المكاره ولا تجدها؛ بل تنال اللذات كلها والمسار. أو ارتفع عنهم المكروه؛ لبلوغ العداوة بينهم وبين أهل النار غايتها، وكذلك يرى المرء في الشاهد إذا عادى إنسانا واشتدت

(١) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي (٦٥/٩).

(٢) ينظر: روح البيان (٣٧٤/١٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن (١٨٠).

(٤) أضواء البيان (٢٧٣/٣).

(٥) التفسير الوسيط مجمع البحوث (١٨٣٨/١٠).

العداوة فيما بينهما، ثم رآه يعذب بألوان العذاب لم يثقل عليه ذلك، بل أحب أن يزاد منه[١].

خامسا: فيه عدل الله تعالى حيث جازى الكفار على ما كانوا يفعلون في الدنيا. وأن عدالة الله تعالى تقتص من المعتدين مهما طالت بهم الحياة[٢]. قال ابن عثيمين:" الله تعالى قد ثوَّب الكفار وجازاهم جزاء فعلهم في الدنيا، وهو ﷻ حكم عدل. فحكمه دائر بين العدل والفضل، بالنسبة للذين آمنوا حكمه وجزاؤه فضل، وبالنسبة للكافرين حكمه وجزاؤه عدل "[٣].

سادسا: فيه إثبات الجزاء على الأعمال في الآخرة. وأن الجزاء من جنس العمل.

سابعا: فيه مقابلة الكفار في الآخرة بمثل فعلهم وقولهم، تسلية للمؤمنين، وتثبيتا لهم على الإسلام، وتصبرا على متاعب التكاليف، وأذية الأعداء[٤].

ثامنا: فيه أن الشقاء في الآخرة يكون بسبب ما يفعله العباد في الدنيا، إما بمخالفة الأعمال المأمور بها أو فعل ما نهوا عنه[٥].

تاسعا: فيه دليل على البعث للحساب والجزاء على الأعمال.

عاشرا: فيه دليل على التكليف؛ فحيث وجد التكليف فلا بد من الثواب أو العقاب، وحيث عدم التكليف فلا ثواب ولا عقاب.

حادي عشر: فيه دليل على عدم تكليف المكره. والقول بعدم تكليف المكره هو الأليق بمذهب السلف، والأقرب إلى ظاهر القرآن والسنة؛ لأن الله تعالى لم يؤاخذ

---

(١) ينظر: تفسير الماتريدي (٤٦٨/١٠).
(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣٣٠/١٥).
(٣) تفسير العثيمين جزء عم (١٠٨).
(٤) ينظر: التفسير المنير (١٣٥/٣٠).
(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧٩/٨).

من نطق بكلمة الكفر مكرها فقال تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل١٠٦]، والرسول ﷺ قال: (إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[١]. والتكليف مع الإكراه فيه حرج شديد ومشقة عظيمة، والله تعالى يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة ٢٨٦]، ويقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج ٧٨]. ويقول: ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة ٦] "[٢].

ثاني عشر: فيه دليل على أن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة. قال السفاريني:" والحاصل أن مذهب السلف ومحققي أهل السنة أن الله تعالى خلق قدرة العبد وإرادته وفعله، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله، والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ [الإنسان: ٣٠]. فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد، وأنها لا تكون إلا بمشيئة الرب "[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي ح (٢٠٤٣) من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ. قال الشنقيطي في أضواء البيان (٢٥١/٣):" وهذا الحديث وإن أعله الإمام أحمد وابن أبي حاتم فقد تلقاه العلماء قديما وحديثا بالقبول، وله شواهد ثابتة في القرآن العظيم والسنة الصحيحة ".

(٢) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (٩٢).

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (٣١٤/١).

ثالث عشر: فيه أن الضحك والاستهزاء والسخرية والغمز من الكبائر، فالخائض فيها من المجرمين الملحقين بالمشركين، نسأل الله سبحانه السلامة من غضبه وسخطه[1].

رابع عشر: فيه أنه لا ينبغي لمن رأى مسلما في حالة رثة تظهر بها عليه آثار الفقر والضعف أن يسخر منه[2].

**

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٣٩/٣١).

(٢) أضواء البيان (٤١٣/٧).

المبحث الخامس

ختم سورة التين بالاستفهام

موضوعه، غرضه، مناسبته، دلالاته

المطلب الأول: ختم سورة التين بالاستفهام، موضوعه، غرضه، مناسبته:

سورة التين مكية في قول أكثر المفسرين. وقيل مدنية(١).

قال ابن عاشور:" وهي مكية عند أكثر العلماء، قال ابن عطية: لا أعرف في ذلك خلافا بين المفسرين. ولم يذكرها في الإتقان في عداد السور المختلف فيها. وذكر القرطبي عن قتادة أنها مدنية، ونسب أيضا إلى ابن عباس، والصحيح عن ابن عباس أنه قال: هي مكية "(٢).

ابتدأت سورة التين بالقسم بالبقاع والأماكن التي خصها سبحانه ببعثة رسله موسى وعيسى ومحمد – عليهم الصلاة والسلام – وهي بيت المقدس، وجبل الطور، ومكة، أقسم بها ﷻ على أنه كرَّم الإنسان، فخلقه في أحسن تقويم، ثم ذكر رجوعه بالكفر إلى أسفل سافلين، وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند الله بالأجر غير المقطوع، وختمت السورة بتقرير الجزاء وإثبات عدل الله تعالى(٣).

والاستفهام في خاتمة السورة هو قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾ [التين: ٨]. جاء هذا الاستفهام بعد أن وبّخ الله المكذب بالبعث والحساب مع وضوح الأدلة على قدرة الله تعالى.

---

(١) ينظر: النكت والعيون (٣٠٠/٦)، زاد المسير (٤٦٣/٤).

(٢) التحرير والتنوير (٤١٩/٣٠)، وينظر: المحرر الوجيز (٦٤٧/٨)، تفسير القرطبي (١١٠/٢٠)، الإتقان (٤٦/١).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٩٥٨/١٠)، عون الرحمن في تفسير القرآن (٣٣٧/٢٤).

والاستفهام تحقيق لما سبق في السورة والمعنى: أما هو أحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً، فليس هناك أعدل منه وأحسن حكما لا يجور ولا يظلم أحدا، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه، ومن كان كذلك كان قادراً على الإعادة والجزاء. فكيف يظن أن الناس يعملون متفاوتين في أعمالهم في هذه الدنيا ثم يموتون سواء ولا جزاء بعد بالثواب ولا بالعقاب، هذا ظلم وباطل ومنكر ينزه الرب عنه ﷻ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: ٢٧]. وهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ إن الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليه من النعم والخير والبر ما لا يحصى، ورباه التربية الحسنة، لا بد أن يعيده إلى دار هي مستقره وغايته، التي إليها يقصد ونحوها يؤم[1].

وموضوع الاستفهام بيان عدل الله تعالى وأنه أحكم الحاكمين.

والاستفهام للتقرير أي هو أحكم الحاكمين سبحانه[2]، ودخلت (الباء) في خبر (أليس) وإن كان قد انتقض معنى النفي؛ لأنَّ الهمزة وإن نقلت النفي إلى الإيجاب. فإنها لم تنقل (ليس) عن حكمها[3].

وفي مناسبة الاستفهام لما قبله يذكر ابن تيمية أن الناس في هذه السورة نوعان: في أسفل سافلين ونوع لهم أجر غير ممنون، فقد ذكر البشارة والنذارة

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٣٥/٨)، تفسير السعدي (٩٢٩)، أيسر التفاسير (٥٩١/٥).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (١٢٩٤/٢)، روح المعاني (٣٩٨/١٥)، التحرير والتنوير (٤٣١/٣٠).

(٣) إعراب القرآن للأصبهاني (٥٣٣).

والرسل بعثوا مبشرين ومنذرين. فمن كذبك يا محمد بعد هذا فحكمه إلى الله أحكم الحاكمين وأنت قد بلغت ما وجب عليك تبليغه(١).

ومن المناسبات أنه لما ذكر في السورة إثبات النبوة والتوحيد والمعاد ختم السورة بتقرير مضمونها. كما يقول ابن القيم(٢).

ويقول البقاعي:" لما صح أن تارك الظالم بغير انتقام والمحسن بلا إكرام ليس على منهاج العدل الذي شرعه الله تعالى، حسن جداً تكرير الإنكار بقوله ﷻ: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ ﴾ أي على ما له من صفات الكمال، وأكده بالجار في قوله: ﴿ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾ أي حتى يدع الخلق يهلك بعضهم بعضاً من غير جزاء، فيكون خلقهم عبثاً، بل هو أحكم الحاكمين علماً وقدرة وعدلاً وحكمة بما شوهد من إبداعه الخلق ومفاوتته بينهم، وجعل الإنسان من بينهم على أحسن تقويم، فلا بد أن يقيم الجزاء ويضع الموازين القسط ليوم القيامة فيظهر عدله وحكمته وفضله "(٣).

ومن المناسبات أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال إلى حال من أوضح الأدلة على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء، فأي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع إلى ان تكون كاذبا أيها الإنسان ﴿ أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾(٤).

ومن المناسبات أيضا أنه لما ذكر تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم رده إلى أسفل سافلين. فكأنه- تعالى- يقول: إن الذي فعل ذلك كله هو أحكم الحاكمين خلقا وإيجادا. وصنعا وتدبيرا، وقضاء وتقديرا(٥).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٩٠/١٦).

(٢) ينظر: التبيان في أيمان القرآن (٨٥).

(٣) نظم الدرر (١٤٩/٢٢).

(٤) ينظر: روح اللبيان (٤٩٦/١٠).

(٥) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٤٤٩/١٥).

ومنها أنه لما خاطب المكذب بقوله له: إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم، وأنه يردّك بسبب الكفر أسفل سافلين، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء؟ لقد علمت البدأة، وعرفت أن من قدر على البدأة، فهو قادر على الرجعة بطريق أولى، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد، وقد عرفت هذا؟ أكَّد ما سبق بقوله: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾[1].

ومن المناسبات بين افتتاحية السورة وخاتمتها أن الله تعالى لما ذكر قدرته على خلق بعض النباتات العجيبة والأماكن ذات المكانة ختم ببيان قدرته على مجازاة عباده والحكم بينهم[2].

المطلب الثاني: دلالات ختم سورة التين بالاستفهام:

أولا: فيه أن من ادعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن فهو كافر؛ لأنه مكذب للقرآن[3].

ثانيا: فيه الإيمان بأن مراد الله الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كونا أو تعبَّد به خلقه شرعا فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك[4].

ثالثا: فيه أن من أسماء الله تعالى أحكم الحاكمين. وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى اعتبار الأسماء المضافة وعدِّها من ضمن الأسماء الحسنى، قال ابن تيمية:" وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدِّين، وأحسن الخالقين، وجامع النَّاس ليوم لا ريب فيه،

(١) ينظر: التفسير المنير (٣٠/٣٠٩).
(٢) ينظر: موسوعة التفسير الموضوعي (٩/٢٣٩).
(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/١٦٠).
(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة للعثيمين (١١).

ومقلِّب القلوب، وغير ذلك ممَّا ثبت في الكتاب والسنَّة، وثبت في الدُّعاء بها بإجماع المسلمين"[١].

رابعا: فيه وعيد شديد للكفار المكذبين المتوهمين عدم الإعادة والجزاء[٢]. وأن الله يحكم عليهم بما هم أهله[٣].

خامسا: فيه أن من عدل الله وحكمته إيصال الجزاء إلى المحسن والمسيء[٤].

سادسا: فيه أن اسم الله تعالى أحكم الحاكمين من خصائص الألوهية. قال الكوراني:" وآثر الاسم الأعظم؛ دلالة على أنَّ ذلك من خواص الألوهية "[٥].

سابعا: فيه دليل على أن الله تعالى تام القدرة كامل العلم إذ يلزم ذلك من كونه أحكم الحاكمين[٦].

ثامنا: فيه دليل على أن الله يفوق قضاؤه كل قضاء في خصائص القضاء وكمالاته، وهي: إصابة الحق، وقطع دابر الباطل، وإلزام كل من يقضي عليه بالامتثال لقضائه والدخول تحت حكمه[٧].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٨٥/٢٢).

(٢) ينظر: فتح البيان (٣٠٥/١٥).

(٣) ينظر: روح البيان (٤٧٠/١٠).

(٤) ينظر: تفسير النيسابوري (٥٢٦/٦،٥٢٧).

(٥) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (٤١٢)، والكوراني: هو أحمد بن إسماعيل بن عثمان الإمام العلامة شهاب الدين الكوراني الشافعي ثم الحنفي. برع في علوم مختلفة، وأجازه علماء عصره في العلوم كلها وأجازه ابن حجر في الحديث، وله التفسير وشرح على صحيح البخاري، توفي سنة (٨٩٣هـ). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢٤٣/١)، طبقات المفسرين للأدنه وي (٣٥٢).

(٦) ينظر: روح البيان (٤٧٠/١٠).

(٧) التحرير والتنوير (٤٣١/٣٠).

تاسعا: فيه دليل على أن الله سبحانه أعدل القاضين وأنفذهم وأصحهم قضاء بين خلقه نافذ الحكم ولا بد، بخلاف قضاء غيره من القضاة[١].

عاشرا: فيه دليل على أن حكمه يتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجحد ما جاء به بالحجة والقدرة والظهور عليه، وحكمه بين عباده في الدنيا بشرعه وأمره، وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه، وأن أحكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الأحكام بعدما ظهرت حكمته في خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونقله في أطوار التخليق حالا بعد حال إلى أكمل أحواله. فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن لا يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؟ وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته؟[٢].

حادي عشر: يدل على أنه الحاكم بين المكذب بالدين والمؤمن به. والأمر في ذلك له ﷻ[٣].

ثاني عشر: فيه دليل على أن الله تعالى أقام الحجة على المكذبين بالدين بإرسال الرسول ﷺ.

ثالث عشر: فيه دليل على أن الحكم الأكبر الأعظم الذي لا يعارضه شيء هو حكم الله ﷻ، والحكمة العليا البالغة هي حكمة الله ﷻ فهو ﷻ أحكم الحاكمين قدراً وشرعاً[٤].

رابع عشر: فيه دليل لمن منع الوصف بقاضي القضاة أو حاكم الحكام لما فيه من الجرأة وسوء الأدب[٥]. قال ابن عثيمين:" قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٣٧/٣٢).
(٢) التبيان في أيمان القرآن (٨٥).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٩٠/١٦).
(٤) تفسير العثيمين جزء عم (٢٥٤).
(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٥٩٠/١٠)، تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد للعجيلي للعجيلي (٤٣٧/٢).

العام لا يصلح إلا لله ﷻ فمن تسمي بذلك فقد جعل نفسه شريكا لله ﷻ فيما لا يستحقه إلا الله ﷻ، وهو القاضي فوق كل قاضٍ والحكم وإليه يرجع الحكم كله، وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز، لكن الأفضل أن لا يفعل، لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله، وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد، فلا يكون فيه مشاركة لله ﷻ وذلك مثل قاضي قضاة العراق، أو قاضي قضاة الشام، أو قاضي قضاة عصره "[١].

**

(١) المناهي اللفظية (٩١،٩٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي هذا البحث وأشكره على فضله العظيم، وبعد فهذه أهم النتائج:

أولا: جاء الختم بالاستفهام في خمس سور مكية وهي الأحقاف، والقيامة، والمرسلات، والمطففين، والتين.

ثانيا: كان موضوع الاستفهام في سورة الأحقاف هلاك الكافرين المكذبين بالنبي ﷺ، وفي سورة القيامة إثبات قدرة الله التامة على البعث وإحياء الموتى، وموضوعه في سورة المرسلات تكذيب المشركين القرآن الكريم، وفي سورة المطففين مجازاة الكفار يوم القيامة على أفعالهم، وفي سورة التين بيان عدل الله تعالى وأنه أحكم الحاكمين.

ثالثا: جاء الاستفهام في سورة الأحقاف إنكاريا، وفي سورة القيامة إنكار للمنفيّ إنكارَ تقريرٍ بالإثبات، وفي سورة المرسلات إنكاري سيق للتعجب، والاستفهام للتقرير في سورتي المطففين والتين.

رابعا: تنوع مناسبات ختم السور بالاستفهام، ومن أبرز هذه المناسبات أنها تحقيق لما ذكر في السور وتقرير لمضمونها.

خامسا: تنوع دلالات ختم السور بالاستفهام، ومن أبرزها إثبات عدل الله تعالى، وإقامة الحجة على الكافرين المكذبين، والجزاء على الأعمال.

كما أوصي بدراسة الأنواع الأخرى من خواتم السور وإبراز مناسباتها ودلالاتها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين،،

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي – المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط/ ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الأساس في التفسير – سعيد حوّى – دار السلام – القاهرة- ط/ السادسة، ١٤٢٤ هـ.
- أسلوب الاستفهام في القرآن غرضه وإعرابه – عبد الكريم محمود يوسف – مطبعة الشام – ط/ الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية – آمال بنت عبد العزيز العمرو- المكتبة الشاملة.
- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله – عياض بن نامي بن عوض السلمي – دار التدمرية – الرياض – ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
- إعراب القرين – إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة – قدمت له ووثقت نصوصه: فائزة بنت عمر المؤيد – الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض) – ط/ الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
- إعراب القرآن وبيانه – محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش – دار الإرشاد

للشئون الجامعية – حمص – سورية – دار اليمامة – دمشق – بيروت – دار ابن كثير – دمشق – بيروت – ط/ الرابعة ، ١٤١٥ هـ.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية – قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان – شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد – دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – ط/ الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي – المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي– دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط/ الأولى – ١٤١٨ هـ.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – ط/ الخامسة، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.
- البحر المحيط في التفسير– أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي –المحقق: صدقي محمد جميل– دار الفكر – بيروت – ط/ ١٤٢٠ هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد – أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي – المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان – الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة– ١٤١٩ هـ.
- البرهان في تناسب سور القرآن– أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر– تحقيق: محمد شعباني– وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– المغرب – ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
- البرهان في علوم القرآن– أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي – المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية عيسى

البابي الحلبي وشركاؤه- ط/ الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى - المحقق: محمد علي النجار - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي- القاهرة- ١٩٩٦م، .١٩٩٢م- ١٩٧٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس - محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي - المحقق: مجموعة من المحققين- دار الهداية.
- التبيان في إعراب القرآن - أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري - المحقق : علي محمد البجاوي - الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التبيان في أيمان القرآن - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - المحقق: عبد الله بن سالم البطاطي - دار عالم الفوائد - مكة المكرمة - ط/ الأولى، ١٤٢٩ هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ هـ.
- تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد - عبد الهادي [هادي] بن محمد بن عبد الهادي [هادي] بن بكري العجيلي -المحقق: حسن بن علي العواجي- أضواء السلف - ط/ الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- التعريفات- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني -المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان -ط/ الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- التفسير البسيط - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي،

النيسابوري – المحقق: رسائل دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه – الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ط/ الأولى، ١٤٣٠ هـ.

- التفسير البياني للقرآن الكريم – عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ – دار المعارف – القاهرة – ط/ السابعة.
- تفسير جزء عم – محمد بن صالح بن محمد العثيمين – إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان – دار الثريا للنشر والتوزيع – الرياض– ط/ الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن – الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي – إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي– دار طوق النجاة – بيروت – لبنان – ط/ الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- التفسير الحديث – محمد عزت دروزة – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٣٨٣ هـ.
- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم – أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي.
- تفسير الفاتحة والبقرة – محمد بن صالح بن محمد العثيمين – دار ابن الجوزي – ط/ الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- تفسير القرآن – أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي – المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم – دار الوطن – الرياض – ط/ الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي – المحقق: سامي بن محمد سلامة– دار طيبة للنشر والتوزيع – ط/

الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

- التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم يونس الخطيب - دار الفكر العربي - القاهرة.
- تفسير المراغي - أحمد بن مصطفى المراغي - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- ط/ الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- تفسير المظهري - محمد ثناء الله المظهري -المحقق: غلام نبي التونسي- مكتبة الرشدية - الباكستان - ١٤١٢ هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - وهبة بن مصطفى الزحيلي - دار الفكر المعاصر - دمشق - ط/ الثانية ، ١٤١٨ هـ.
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم - نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن - كلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة - ط/ الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) - محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - المحقق: مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- التفسير الميسر- نخبة من أساتذة التفسير - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - ط/ الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - محمد سيد طنطاوي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط/ الأولى ١٩٩٧م، ١٩٩٨م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - ط/ الأولى، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد

الله السعدي – المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط/ الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر الطبري – تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – ط/ الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- جامع الرسائل – تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي – المحقق : محمد رشاد سالم – دار العطاء – الرياض – ط/ الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش– دار الكتب المصرية – القاهرة – ط/ الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي – شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي – دار صادر – بيروت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي – المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط – دار القلم، دمشق.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني– أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار – المحقق: د. عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م.
- روح البيان – إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، أبو الفداء – دار الفكر – بيروت.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي – المحقق: علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – المحقق: عبد الرزاق المهدي – دار الكتاب العربي – بيروت – ط/الأولى ١٤٢٢ هـ.
- سنن ابن ماجه – ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني – المحقق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله – دار الرسالة العالمية– ط/ الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- سنن أبي داود – أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني – المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- شرح سنن أبي داود– أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى – المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري – مكتبة الرشد – الرياض – ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م.
- شرح العقيدة الطحاوية – صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي – تحقيق: أحمد شاكر – وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد– ط/ الأولى – ١٤١٨ هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها– أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين – الناشر: محمد علي بيضون – ط/ الأولى ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – ط/ الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

- صحيح وضعيف سنن أبي داود- محمد ناصر الدين الألباني - برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية - المحقق: علي بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة - الرياض- ط/ الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- طبقات المفسرين - أحمد بن محمد الأدنه وي - المحقق: سليمان بن صالح الخزي - مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ط/ الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي - المحقق: خالد بن عثمان السبت - دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- مكة المكرمة - ط/ الثانية، ١٤٢٦ هـ.
- عقيدة أهل السنة والجماعة - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين -الناشر: الجامعة الإسلامية المدينة المنورة - ط/ الرابعة، ١٤٢٢ هـ.
- عون الرحمن في تفسير القرآن وبيان ما فيه من الهدايات والفوائد والأحكام - سليمان بن إبراهيم اللاحم- دار ابن الجوزي - ط/ الأولى ١٤٤١هـ.
- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس- أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني - دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه) - الناشر: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية - تركيا- عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن - أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي

الحسيني البخاري القِنَّوجي – عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري- المَكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

- فتح القدير – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني – دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – ط/ الأولى ١٤١٤ هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) – شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي – القسم الدراسي: د. جميل بني عطا – الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم- الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.
- فواتح السور وخواتيمها أنواعها دلالاتها مناسباتها- عبد العزيز بن عبد الله الخضيري –رسالة دكتوراه – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٤١٧هـ.
- الفوز الكبير في أصول التفسير- أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي – عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي- دار الصحوة – القاهرة- ط/ الثانية ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.
- القول المفيد على كتاب التوحيد – محمد بن صالح بن محمد العثيمين – دار ابن الجوزي- ط/ الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.
- لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى – دار صادر – بيروت – ط/ الثالثة ١٤١٤ هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية – شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي – مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق – ط/ الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.
- محاسن التأويل – محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي –

المحقق: محمد باسل عيون السود- دار الكتب العلميه – بيروت- ط/ الأولى ١٤١٨ هـ.

- المجتبى من مشكل إعراب القرآن – أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – ١٤٢٦ هـ.
- مجموع الفتاوى – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني – المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- ١٤١٦هـ،١٩٩٦م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية الأندلسي المحاربي – المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ الأولى ١٤٢٢ هـ.
- المختصر في التفسير – مركز تفسير – دار المختصر للنشر والتوزيع – ٢٠٢٢م.
- المدخل إلى علوم القرآن الكريم- محمد فاروق النبهان – دار عالم القرآن – حلب- ط/الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد – محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا – المحقق: محمد أمين الصناوي- دار الكتب العلمية – بيروت – ط/ الأولى ١٤١٧ هـ.
- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي – قرأه وتممه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر – مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – ط/ الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني – جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم – ط/ الأولى، ١٤١٨ هـ.

- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي - مكتبة المعارف – الرياض- ط/ الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن - محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي - المحقق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط/ الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- معاني القرآن وإعرابه - المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج - المحقق: عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب – بيروت – ط/ الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان – ط/ الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها- أحمد مطلوب – الدار العربية للموسوعات – ١٤٠٧هـ- ٢٠٠٦م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري -دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط/ الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى - المحقق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت – ط/ الأولى - ١٤١٢ هـ.
- المكي والمدني – محمد بن عبد الرحمن الشايع- مكتبة الملك فهد الوطنية – ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- المناهي اللفظية - محمد بن صالح بن محمد العثيمين- جمع وإعداد: فهد بن

ناصر بن إبراهيم السليمان – دار الثريا للنشر والتوزيع – ط/ الأولى، ١٤١٥ هـ.

- المهذب في علم أصول الفقه المقارن – عبد الكريم بن علي بن محمد النملة – مكتبة الرشد – الرياض – ط/ ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- الموسوعة القرآنية، خصائص السور – جعفر شرف الدين – المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي – دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت – ط/ الأولى – ١٤٢٠ هـ.
- النبوات – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي – المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان – أضواء السلف– الرياض– ط/ الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي – دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون – أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي – المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت.
- نهاية الأرب في فنون الأدب – أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري – دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة – ط/ الأولى، ١٤٢٣ هـ.

***